

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
اللَّهُمَّ اهْدِنِي سُبُلَكَ وَثَبِّتْنِي
الوقت وأهميته

الخطبة الأولى:

اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا، وَلَكَ الشُّكْرُ شُكْرًا وَفِيرًا، أَحْمَدُ اللَّهَ تَعَالَى وَأَشْكُرُهُ، وَأُثْنِي عَلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خَلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢]، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ تَعَالَى عَلِيمًا قَدِيرًا، ﴿الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١]. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أما بعد؛ فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى أَيُّهَا النَّاسُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الدُّنْيَا وَلَتْ مُدْبِرَةً، وَأَنَّ الْآخِرَةَ دَنَتْ مُقْبِلَةً؛ فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْمُقْبِلَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْمُدْبِرَةِ!

واعلموا أَنَّ الْعَبْدَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ: أَجَلَ قَدْ مَضَى لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ صَانِعٌ فِيهِ، وَأَجَلَ قَدْ بَقِيَ لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ قَاضٍ فِيهِ؛ فَلْيَأْخُذِ الْعَاقِلُ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ، وَمِنْ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ، وَمِنْ الْفَرَاغِ لِلشُّغْلِ؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ حِيلَةٍ، وَمَا بَعْدَ الدُّنْيَا إِلَّا الْجَنَّةُ أَوْ النَّارُ!

أَيُّهَا النَّاسُ: رَأْسُ مَالِ الْمُسْلِمِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا هُوَ الْوَقْتُ، وَهُوَ مَادَّةُ الْحَيَاةِ، وَالْوَقْتُ أَنْفُسُ مِنَ الْمَالِ وَأَعْلَى، وَعُمُرُ الْإِنْسَانِ هُوَ مَوْسِمُ الزَّرْعِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، وَالْحَصَادُ هُنَاكَ فِي الْآخِرَةِ، فَلَا يَحْسُنُ بِالْمُسْلِمِ أَنْ يُضَيِّعَ أَوْقَاتَهُ، وَيُنْفِقَ رَأْسَ مَالِهِ فِيمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ وَمِنْهُ.

أَيُّهَا الْعِبَادُ: لِعَظَمِ قَدْرِ الْوَقْتِ وَأَهْمِيَّتِهِ، أَقْسَمُ اللَّهُ ﷻ بِهِ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنْ كِتَابِهِ الْكَرِيمِ، مِنْهَا قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَالْعَصْرُ ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣]. فَأَقْسَمُ -جَلَّ وَعَلَا- بِالْعَصْرِ؛ وَهُوَ الدَّهْرُ الَّذِي هُوَ زَمَنُ تَحْصِيلِ الْأَرْبَاحِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَزَمَنُ الشَّقَاءِ لِلْمُعْرِضِينَ، وَلِمَا فِيهِ مِنَ الْعِبَرِ وَالْعَجَائِبِ لِلنَّاطِرِينَ.

وَيَقُولُ ﷻ فِي بَيَانِ هَذِهِ النِّعَمِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَصُولِ النِّعَمِ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خَلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢]، فَهَذِهِ نِعْمَةٌ جَلِيلَةٌ، وَلَئِنْهَا كَذَلِكَ كَانَ السُّؤَالُ عَنْهَا فِي الْآخِرَةِ، يَقُولُ ﷻ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَا فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جَسْمِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ» [أخرجه الترمذي (٢٦٠٢) عن أبي بَرزَةَ الْأَسْلَمِيِّ، وَهُوَ صَحِيحٌ].

أَيُّهَا النَّاسُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ، وَالْفَرَاغُ» [أخرجه البخاري (٦٤١٢) عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا]. فَغَايَةُ الْغَبْنِ: أَنْ يُدْرِكَ الْإِنْسَانُ صِحَّةً فِي جَسَدِهِ وَفَرَاغًا فِي وَقْتِهِ، ثُمَّ لَا يَنْصَبُ لِلْعِبَادَةِ، وَلَا يَقُومَ بِالطَّاعَةِ، وَلَا يَسْتَعِينُ بِهَا لِلْإِفَادَةِ!

فلا بدّ للمسلم أن يستغلّ هذه النعم قبل فقدها وذهابها؛ فإنّ دوام الحال من المحال، ولا بدّ من تغيير وانتقال، فليكنّ الاستفادة ممّا أنعم الله به حين حلوله قبل زواله، يقول ﷺ لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلِكَ، وحياتك قبل موتك» [أخرجه الحاكم في المستدرک (٧٨٤٦)، وهو صحيح]، فالعاقل هو الذي يدرك شرف زمانه وقدر وقته، ولا تراه في ساعة من عمره إلا منشغلا إمّا بعملٍ نافعٍ للدنيا أو للآخرة.

أيها الإخوة المصلّون: من جهل قيمة الوقت الآن؛ فسيأتي عليه حين يعرف فيه قدره ونفاسه وقيمة العمل فيه، ولكن بعد فوات الأوان! وفي هذا يذكر القرآن الكريم موقفين للإنسان يندم فيهما على ضياع وقته حين لا ينفع الندم:

الموقف الأول: ساعة الاحتضار؛ حيث يستدبر الإنسان الدنيا، ويستقبل الآخرة، ويتمنى لو منح مهلة من الزمن، وأُخِرَ إلى أجل قريب ليُصلح ما أفسده، ويتدارك ما فات، ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤].

وقال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

الموقف الثاني: في الآخرة؛ حيث توفى كل نفس ما عملت، وتجزى بما كسبت، ويدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، هناك يتمنى أهل النار لو يعودون مرة أخرى إلى حياة التكليف ليدؤوا من جديد عملاً صالحاً؛ ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٢-١٤].

فينبغي للمؤمن أن يتخذ من مرور الليالي والأيام عبرة لنفسه، الليل والنهار يلبيان كل جديد، ويقربان كل بعيد، وبطوian الأعمار، ويشيبان الصغار، ويفنيان الكبار!

أيها الناس: لقد ضرب لنا سلفنا وخلفنا -ممن وفقهم الله لاغتنام الأوقات بالطاعات- روعة المشال وجمال القدوة في عنايتهم بحفظ أوقاتهم في جميع الأحوال والأوضاع:

فهذا حماد بن سلمة رحمه الله تعالى: قال عنه ابن مهدي: لو قيل لحماد بن سلمة: إنك تموت غداً. ما قدر أن يزيد في العمل شيئاً.

وقال موسى بن إسماعيل التبوذكي: لو قلت لكم: إنني ما رأيت حماد بن سلمة ضاحكاً؛ لصدقت، كان مشغولاً إمّا يحدث أو يقرأ أو يسبح أو يصلي، وقد قسم النهار على ذلك.

قال يونس المؤدب: مات حماد بن سلمة وهو في الصلاة.

فلا إله إلا الله كيف حفظ وقته، وصانه عن كل ما يعييه؟!

وهذا الحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله تعالى:

قال الضياء المقدسي في ترجمته: كان لا يضيع شيئاً من زمانه بلا فائدة؛ فإنه كان يصلي الفجر، ويلقن القرآن، وربما أقرأ شيئاً من الحديث تلقيناً، ثم يقوم فيتوضأ ويصلي إلى قبل الظهر، وينام نومة ثم يصلي الظهر، ويشغل إمّا بالتسميع أو

بالنسخ إلى المغرب، فإن كان صائماً أفطر، وإلا صلى من المغرب إلى العشاء، ويصلي العشاء وينام إلى نصف الليل أو بعده، ثم قام كأن إنساناً يوقظه فيصلي لحظة ثم يتوضأ ويصلي إلى قرب الفجر، ربما توضأ سبع مرات أو ثمانياً في الليل، وقال: ما تطيب لي الصلاة إلا ما دامت أعضائي رطبة. ثم ينام نومة يسيرة إلى الفجر، وهذا دأبه.

فله دُرّه، ما أحسن عمله، وما أجمل صدقه وقربه من ربه!

أيها المسلمون: إن الحفاظ على الأوقات واستثمار الأعمار يحتاج إلى حزم وعزم وهمّة وقوة إرادة. أما البطالة والكسل فهي داء وبيل، ومرض خطير تنعكس آثاره السيئة على الأفراد والمجتمعات، ويسبب الخمول والفقر والتخلف المادي والمعنوي، ويؤدي إلى الرذائل والمنكرات، وإن يكن الشغل مشهدة فإن الفراغ مفسدة، ومن أكثر الرقاد عدم المراد، ومن دام كسله خاب أمله.

قل لمن يصرف الأيام بين الأوهام والأحلام: إن كنت تجهل مقدار ما تضيع من الزمن فقف بالقبور ملتمساً من سكانها برهة من الوقت؛ لتعلم أنه العزيز الذي لا يملك، والفائت الذي لا يستدرك؟!

وكم من قائل: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾، فيقال: كلا، إن العمر لا يعود، إن الفراغ لا يبقى فراغاً أبداً، فلا بد أن يملأ بخير أو شر، ومن لم يشغل نفسه بالخير شغلته بالباطل!

بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة، ونفعني وإياكم بما فيهما من الآيات والذكر والحكمة، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب وخطيئة، فاستغفروه وتوبوا إليه؛ إن ربي لغفور رحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المصطفى ﷺ.

عباد الله: أنتم في هذه الأيام مُقبلون على إجازة، وهذه الإجازة ليس المقصود منها الفراغ والبطالة، وإنما الاستجمام والعمل بعمل يُجدد النشاط، ويبعث على العمل؛ فينبغي ألا تُفسد بالضياع، ولا باللهو واللعب، بل بما ينفع ويزيد العبد قرباً من ربه.

أيها المباركون، لقد أنعم الله علينا في هذا الوادي بنعم كثيرة، ومن هذه النعم ما من به سبحانه من قيام جمعية لحفظ القرآن الكريم، تقوم على تعليم وتحفيظ كتاب الله تعالى، وتقديم البرامج التي تخدم القرآن الكريم وأهله، ومن ذلك قيام الحلقات القرآنية، وإنشاء الدورات النسائية، والمقارن الصيفية والرمضانية لحفظ القرآن الكريم لجميع فئات المجتمع.

إخواني، لقد أعلنت جمعية تحفيظ القرآن الكريم بتندحة عن قيام برامج لتعليم وتحفيظ القرآن الكريم في هذا الصيف، وهذه البرامج لجميع فئات المجتمع، رجالاً ونساءً، كباراً وصغاراً، وستنطلق بإذن الله تعالى بعد يوم غدٍ في الجامع الكبير بالمجمع الخيري، ألا فبادوا بالمشاركة، وحثوا أبناءكم على ذلك، ليحفظوا القرآن فيحفظهم القرآن.

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم، وانفعنا بهدايته يا رب العالمين، اللهم علمنا منه ما جهلنا، وذكّرنا منه ما نسينا، واجعله شافعاً لنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم احفظنا بالإسلام قائمين وقاعدين وراقدين، ولا تشمت بنا الأعداء ولا الحاقدين.
اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين.

اللهم إنا نعوذ بك من جهد البلاء، ومن درك الشقاء، ومن سوء القضاء، ومن شتات الأعداء.
اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، ولا تجعله ملتبساً علينا فنضل، واجعلنا للمتقين إماماً.

اللهم أعز الإسلام وانصر المسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداءك أعداء الدين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين.

اللهم صل وسلم على نبينا محمد، وعلى آله الأطهار، وصحابته الأخيار؛ المهاجرين منهم والأنصار، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعن سائر العشرة المبشرين بالجنة، والصحابة أجمعين.
﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿٢﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣﴾﴾ [الصفات: ١٨٠-١٨٢].

إعداد

الفقير إلى عفو سيده ومولاه

د. ظافر بن حسن آل جبعان

الجمعة ١٦/١٢/١٤٤٣هـ